

## تفجير مرفأ بيروت في فرضياته وأسئلته



ما يقتضي تغيير الوصف الجرمي، ثم يلاحظون أن الدولة ستحمي مشتبهي بهم، فإن السياق سيتغير ولعل هذا السيناريو من العناصر التي ترجح أن وراء الكارثة فعلا جرميا، هدفه خلط الأوراق، وتضييق الحلقة حول قوى لبنانية أخرى، حسب لغة الترميز، وعلى "حزب الله" حسب المعنى الذي يعرفه الجميع؛

أغلب الظن، أن الأطنان الهائلة من نترات الأمونيوم، كانت فخا كبيرا ومروعا، ملعوبا للبنان كله ولحزب الله. وخطا هذا الحزب، أنه أدخل نفسه إلى عمق معادلات الحكم، وانقل على الشرعية الدستورية، بشرعيته الثورية، فتسبب للدولة في القىء تلو الآخر. كان ما فعله "الحزب" زائدا عن حاجته إلى حماية نفسه، وأكثر بكثير مما يمكن أن يحتمله لبنان. لكنه في المحصلة، وجد نفسه في المكان الخطأ، عندما اشتبك الشعب مع دولة المحسوبيات والصفقات والألغاز وفساد الزلازم. ويفترض القول في حال الاشتباه بإسرائيل، بأن المناخ السياسي الملبد، والمعطى المتعلق بوجود تلك الكمية من نترات الأمونيوم، قد منحنا قل أبيب، فرصة "تدبير" الصاعق؛

اليوم، لم تقتصر "أخوة" فرنسا، على زيارة تعاطف عاجلة قررها رئيسها، ولم تقتصر أيضا على الوقوف على الحاجات العاجلة التي يقتضيها التضامن، ثم الشروع فورا في إقامة جسر جوي بين باريس وبيروت، بل وصل الأمر إلى مستوى قرار اتخذه مذعي عام باريس ريمي هيتز، بفتح تحقيق في "الانفجارين" اللذين عصفا ببيروت، على خلفية تسببهما في سقوط واحد وعشرين جريحا - على الأقل - من حملة الجنسية الفرنسية. وقد جاء ذلك في ضوء اجتماع وزاري ترأسه رئيس الحكومة الفرنسية جان كاستكس، ضم عددا من الوزراء المعنيين بـ "الجسر الجوي" بين باريس وبيروت، ومن بينهم وزير العدل إيريك دوبون موريتي. معنى ذلك أن باريس، وقبل وصول ماكرون إلى بيروت، حسمت أمرها بأن التحقيق سيخرج من نطاق القضاء اللبناني، رُغما عن الراضين لذلك من اللبنانيين. وبالطبع، لن تقوى الدولة اللبنانية على مقاومة قرار باريس، وستفتح البوابة الرسمية للتحقيق الفرنسي الذي لن يبالي بتأكيد لبنان الرسمي على كون الكارثة نتجت عن محض إهمال. وعندما يكشف الفرنسيون بطريقتهم أن هناك

على نمط الحياة المتجاورة للطوائف، واقتسامها مناصب وصلاحيات السلطة، على أن تطوي كل منها، على سياستها وثقافتها وولاءاتها الخارجية التي تتفوق على أقرب الولاءات الداخلية إليها. كان ذلك هو المناخ الذي ساعد على فساد الطبقة السياسية، ووصول الدولة إلى شفا الأنهار، وكان طبيعيا مع هذا المال، أن يعلو شأن فرنسا، لدى قطاع من الشعب، وبالقدر نفسه أو أكثر، يعلو شأن إيران، ومرشدها الأعلى "قدس الله سره"، لدى قطاع آخر؛ بخلاف ذلك، كان المسكون بمقاليد الأمور في سوريا الذين يفترض أنهم - بمنطق التاريخ والجغرافيا - هم الأم الرؤوم الحقيقية، والأب الحاني الذي لا خلاف على أبوته، قد خاضوا التجربة في مرحلة حافظ الأسد. لكنها للأسف كانت تجربة سوداء وكابوسا بالنسبة إلى اللبنانيين، إذ فشلت السلطة السورية، حتى في أن تتمتع عواطف الجيران عبر البحر، فما بالنا بعواطف الأب والأم، ونقول ذلك في أكثر التوصيفات اعتدالا؛

الطوائف فيه، الأم الخاصة المعتمدة التي لا يخلف معها ميعادا. وبدل أن يلحجم المجتمع ويندمج، بفعل التطور في وسائل الحياة، وارتقاء الثقافة الإنسانية وتقنيات الاتصال، وبفعل مقتضيات النظام الدستوري، فضلا عن بدهاش المصالح المؤكدة للناس في مؤسسات الدولة، حدث العكس، إذ جرى



ربما يكون الجواب، أن لبنان لم يجد من يقدمون له الأمومة الرحيمة، حتى وإن قدم لبنان للعرب، بهجة وثقافة وموسيقى وتقاليد حضارية وأفكارا تلامح كل التيارات والمشارب الفكرية. لقد فعل لبنان ذلك، بينما ظلت لكل واحد من أمراء

الدولة، كان أبسط ما سئل عنه، بالنسبة كثيرين، هو الجهات المسؤولة عن استعمار تخزين مواد كيميائية خطيرة، لعدة سنوات في عنبر رقم 12 في المرفأ، لاسيما وأن مدير عام الجمارك اللبنانية، اضطر إلى مخاطبة القضاء طالبا نقل أو إعادة تصدير الكميات الكبيرة من نترات الأمونيوم، عن التصرف بها في أي اتجاه. وتفرغت عن هذا التساؤل الطبيعي والإجرائي، أسئلة فرعية تفتح بابا واسعا للظنون والافتراءات، في مناخ سياسي موبوء، تدعم فيه الثقة بين أمراء الطوائف والنخب السياسية. وفي هذا المناخ نفسه، سارعت إسرائيل إلى إنكار ضلوعها في هذا الانفجار، لكنها ستظل طرفا مشتبهيا به.



عدلي صادق  
كاتب وسياسي  
فلسطيني

مع اندلاع السنة النيران، على انفجاري بيروت، اندلعت الأسئلة وانفتح ملف سلطات الدولة من جديد. وعادت مناقشات الشكوك والخصومات والتناقضات الداخلية، وهذه المرة بوتيرة غير مسبوقة، وكان المدرس قاسيا والعبارة العميقة برسم استعادة المواطنين اللبنانيين وأمراء الطوائف والسياسة. فالمدن عندما تطرأ، تشمل الجميع ولا تستثني أحدا، والحرائق عندما تندلع، لا تملك سيارات الإطفاء ترف التمييز الطائفي أو الديني أو السياسي، بين إنسان وآخر على الأراضي اللبنانية، قتيلًا كان أو جريحا. ومن بين أهم الدروس أيضا، تلك التي تنشأ بفضل التضامن الواسع مع الشعب اللبناني، إقليميا ودوليا، على النحو الذي يذكر شرائح لبنانية اجتماعية، ببطان نزعاء الاستعلاء والجموح الطائفي وغيرهما من النعرات التي ازدادت تفشيا خلال العقدين الماضيين.



عندما يكتشف الفرنسيون بطريقتهم أن هناك ما يقتضي تغيير الوصف الجرمي، ثم يلاحظون أن الدولة ستحمي مشتبهي بهم، فإن السياق سيتغير، ولعل هذا السيناريو من العناصر التي ترجح أن وراء الكارثة فعلا جرميا هدفه خلط الأوراق

## إيمانويل ماكرون في لبنان: الفرصة الأخيرة للإنقاذ

غدت ملحة لتأمين لقمة العيش والحد الأدنى لتسيير الحياة في بلد منهك ومسلوب.

العلاقة بين لبنان وفرنسا هي علاقة إنسانية وعاطفية في المقام الأول، لكن توقيع 55 ألف شخص على عريضة تطالب بعودة الانتداب الفرنسي يكشف مدى اليأس الذي وصل إليه الإنسان اللبناني كي يتعلق بأذيال "الأم الحنون". هكذا لا تكفي أطروحة "القرات الاستعماري" لشرح العلاقات الخاصة بين البلدين لأن هذه العلاقات بدأت منذ القرن السادس عشر بالنسبة لمسيحيي الشرق. والملاحظ أن هذه العلاقات صمدت عبر القرون وقاومت على الدوام الاضطرابات الجيوسياسية المختلفة. تتنصل العلاقة بين فرنسا ولبنان من جميع المعايير المتعارف عليها، ولا تقتصر الروابط على الاعتبارات الدبلوماسية والإستراتيجية والاقتصادية والسياسية، ولا يمكن تفسيرها إلا بلغة المشاعر وبالطبع ما وراء ذلك من مصالح.

نجح إيمانويل ماكرون في احترام سكان بيروت المنكوبة وفي جمع ممثلي الفئات اللبنانية في مشهد نادر إلى طاولة واحدة. لكن هذا الفيض من المشاعر والكلام حول الإصلاح، سيقضي في مصاف التمنيات إن لم يتم الشروع بمسار إنقاذي فعلي وفريق محياد وكفوء وقادر. كان الرئيس الفرنسي صريحا إلى أقصى حد وأعطى مهلة إلى أول سبتمبر القادم للبدء بالعمل الجدي، وإلا يمكن اعتبار الدولة في لبنان على أنها "دولة فاشلة" من قبل المجتمع الدولي، مع تبعات ذلك.

الوطني العام 1943 واتفاق الطائف في 1989. وقد ورد حرفيا في الميثاق الوطني أن "لبنان ينأى عن الدخول في سياسات المحاور". هذا يعني أن الحياض هو ما أسس الدولة كما اتفق عليها المؤسسون. واليوم، من أجل نفاذ الانفجار الإقليمي على حساب لبنان وكيانه، تأتي دعوة الراعي في اللحظة المناسبة وتجد لها أصداء داخلية إيجابية من غالبية المكونات اللبنانية وتجد لها تاييدا في الخارج.

ضمن هذا أجواء ملبدة وصل ماكرون إلى بيروت، ودخل التاريخ مشهده تفقده حي الجيمزة المنكوب وهناتفات الجماهير المكومة والمصدومة ضد

من أزماته وفي انسجام مع العناصر التأسيسية للدولة اللبنانية. في وقائع التاريخ اللبناني المعاصر، طبق الرئيس فؤاد شهاب نظرية الحياض، وفي عهده كان لبنان دولة مساندة في الصراع العربي - الإسرائيلي ولم يكن دولة مواجهة، وكان ذلك ممكنا بفضل التوازن بين النفوذ الناصري العربي والنفوذ الغربي الأمريكي - الفرنسي. لكن لبنان دخل مرحلة عدم الاستقرار واندلاع الحروب منذ بدء التواجد الفلسطيني المسلح وانزلاقه في لعبة المحاور الإقليمية حتى يومنا هذا.

ليس طرح البطريق الماروني ابتكارا بحد ذاته، بل يمثل تذكيرا وعودة إلى نقاشات مرحلة تأسيس الكيان والميثاق



خطر وجودي وذلك على أبواب الذكرى المئوية الأولى لتأسيسه. في موازاة انهيار قيمة العملة الوطنية والغلاء الصارخ للأسعار والتضخم، وانعكاسات مظاهر الفساد وثقافته، يتفاقم الانقسام السياسي بين الفرقاء والمكونات اللبنانية حول تموضعها الجيوسياسي وشبكات مصالحها، وتعمق الهوة بين مجمل المنظومة السياسية والاقتصادية المسيطرة والجمهور الواسع بعد اندثار الطبقة الوسطى. وسط ذلك، يتربط حزب الله النافذ في مؤسسات الدولة اللبنانية بمخططات إيران في المنطقة، مما يعني ربط لبنان بمحور إقليمي إيراني ويجعله رهينة الصراع الأمريكي - الإسرائيلي - الإيراني. ويعرض ذلك لبنان لمخاطر الحرب من جديد بالرغم من ذاكرة مسلسل الحروب بين 1975 و1990، وغالبيتها كانت حروب الآخرين على أرضه. تبعا لهذه البانوراما ولسياسة العقوبات الأميركية ضد إيران ومحورها والمخالفات المتفجرة بين إسرائيل وحزب الله، وكذلك ملف النزوح السوري في لبنان، يمكن لبلاد الأرز أن تكون الضحية بامتياز محيطها الجيوسياسي المضطرب. ومن هنا تجيء التحركات الفرنسية وآخرها زيارة وزير الخارجية جان-إيف لودريان التي أفضلتها رئيس الحكومة اللبنانية حسان دياب، وقبل "هيروشيفا اللبنانية"، جرى تسجيل تطور لافت هز الساحة اللبنانية مع دعوة البطريق الماروني بشارة الراعي إلى اعتماد الحياض الإيجابي مخرجا للبنان



د. خطار أبودايه  
أستاذ العلوم السياسية، المركز  
الدولي للجيولوجيا-باريس

هرع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى لبنان بعد يومين من الكارثة التي حلت بعاصمته بيروت إثر التفجيرات في مرفأها، وكان أول رئيس دولة أجنبي يأتي لتفقد هول النكبة التي دمرت أجزاء كاملة من عروس المتوسط وهذه الزيارة التضامنية في المقام الأول، كان لها بعدها السياسي وطابعها التذكري ضمن مساعي الفرصة الأخيرة لإنقاذ لبنان قبل فوات الأوان. خاصة أن الحدث المروع يأتي في أسوأ الظروف، ويتزامن مع أزمة مركبة، اقتصادية ونقدية وسياسية. ولذا طرح ماكرون مبادرة سياسية حول أهمية إعادة تركيب المشهد السياسي من خلال حكومة وحدة وطنية وتطبيق إصلاحات مؤتمر سيدر كمدخل لإفادة لبنان من الدعم الدولي. لكن العبارة تكمن في إصغاء الأطراف اللبنانية والمسكين بخيوط اللعبة لنداء ماكرون من دون إنكار تداعيات التجاذبات الخارجية. بالرغم من عدم ضمان النتائج، لا يبدو أن فرنسا ستصاب بالاحباط وتستسلم، بل أنها ستستمر في محاولاتها للخروج من الاتفاق المسود.

ترقب فرنسا، القوة الإنتدابية سابقا وعرابة "لبنان الكبير"، التطورات اللبنانية عن كثب ومواجهة لبنان لأزمة لا سابق لها تضع كيانه على محك